مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i4.342

نظام الشورى ودوره في النّهوض بالمجتمعات الإنسانية في القرآن الكريم
دراسة تحليلية مقارنة في ضوء قصّتي فرعون وبلقيس

الباحث:

١- الدكتور شمس الدين لون يحيى، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية لكلية التربية بجامعة دُوتْسِي الفدرالية، جِغَاوَا-نيجيريا.

البريد الالكتروني: shamsu.lawan@fud.edu.ng

٢- الدكتور أبوبكر محمد الثاني، الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية لكلية التربية بجامعة دُوتْسِي الفدرالية، جِغَاوَا-نيجيريا.

البريد الالكتروني: absani@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٠٣ ذو القعدة ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (١٥ شوال ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (٢٩ ذو القعدة ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٨ ذو الحجة ١٤٤٧)

الملخص: تهدف الدراسة إلى بيان دور نظام الشورى في تحقيق نهضة المجتمعات الإنسانية من خلال القرآن الكريم، عبر تحليل نموذجيي الحكم المتقابلين في قصتي فرعون وبلقيس. تُعتبر الشّورى من أعظم أوامر الإسلام، ويتأكّد العمل بها فيما أشكل من الأمور التي لا يوجد فيها نصّ من الوحي، واستمدّه بعض فقهاء وعلماء المسلمين من بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النّبوية للدّلالة على ما اعتبروه مبدأ شرعي من مبادئ الإسلام المتعلّق بتقليب الآراء، ووجهات النّظر في قضية من القضايا، واختبارها من أصحاب الرأي والخِبرة، وصولا إلى الصواب وأفضل الأراء، من أجل تحقيق أحسن النّتائج. وللوصول إلى النّتائج العلمية سلك الباحثان المنهج التّحليلي الاستنباطي من خلال جمع المادة العلمية من القرآن الكريم، والوقوف على أقوال المفسّرين، ومن ثمّ تحليلها، مع توظيف المنهج المقارن، للكشف عن الفروق الجوهرية بين الشورى الحقيقية والشكلية. وقسّم الباحثان البحث إلى عدّة مباحث متعلّقة بالموضوع، بدءا بمبحث يشمل مفهوم الشورى في القرآن الكريم، وانتهاء ببيان دور نظام الشورى في نهضة المجتمعات أو انهيارها في القرآن الكريم. وتوصّل البحث إلى نتائج علمية، من أهمّها: الشورى تمثّل أساسا للحكم الرشيد، وأنّ غيابها يؤدّي إلى الاستبداد والانهيار الحضاري، كما في نموذج فرعون، بينما يسهم تطبيقها في تحقيق الاستقرار والهداية كما في نموذج بلقيس، ومن توصيات البحث: أن يكون نظام الشّورى هو المنهج المتّبع في سيادة الأمّة وسياستها، لِما في ذلك من بثّ وغرس حبّ الأمن والسّلام بين أفراد المجتمع، ليعيش سليما معافىً.

الكلمات المفتاحية: الانهيار، بلقيس، الشورى، فرعون، النهوض.

The Role of Consultation System (Shura) on the Development of Human Communities in the Holy Qur'an: A Comparative Analytical Study in Light of the Stories of Pharaoh and Bilqis

ABSTRACT: This study aims to demonstrate the role of the consultation system (Shura) in achieving the advancement of human societies, as presented in the Holy Quran, through an analysis of two contrasting models of governance in the stories of Pharaoh and Bilqis. Consultation is considered one of the greatest commandments of Islam, and its application is emphasized in matters where there is no explicit text from divine revelation. Some Muslim jurists and scholars have derived it from certain verses of the Holy Quran and Prophetic traditions (Hadith) to indicate what they considered a legitimate principle of Islam related to considering opinions and viewpoints on a given issue, examining them with those possessing expertise and experience, and arriving at the correct and best opinion in order to achieve the best possible outcomes. To reach these scholarly conclusions, the researchers adopted an analytical-deductive approach by gathering scholarly material from the Holy Quran, examining the interpretations of Exegetes, and then analyzing them, while employing a comparative method to reveal the fundamental differences between genuine and formal consultation. The researchers divided the study into several sections related to ablution, beginning with a section on the concept of consultation (shura) in the Holy Quran, and concluding with an explanation of the role of the consultative system in the rise or fall of societies, as described in the Holy Quran. The research reached several scholarly conclusions, most notably: consultation represents the foundation of good governance, and its absence leads to tyranny and civilizational collapse, as exemplified by Pharaoh. Conversely, its application contributes to achieving stability and guidance, as exemplified by Bilqis. Among the research recommendations is that the consultative system should be the guiding principle in the sovereignty and policies of the nation, as it fosters and cultivates a love of security and peace among members of society, enabling them to live in well-being and prosperity.

Keywords: Bilqis, Consultation, Collapse, Development, Pharaoh.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الشورى منهجا لعباده المؤمنين، وألّف بها بين قلوب أوليائه المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر رسوله صلّى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه، والأخذ من الآراء بما وافق هدْيَ كتابِه، وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، وحبيبه المجتبى، وخيرُ داعيةٍ إلى البرّ والتقوى صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعينَ وعلى أتباعه وحِزبِه إلى يوم الدّين.

أما بعد: فإن الشورَى أساسٌ متينٌ في بناء المجتمعات، ومبدأٌ رصين لِرُقي الأمم والحضارات، أمر الله بها صفوة خلقه ومصطفاه– صلّى الله عليه وسلم –مع ما أودع فيه من سديد الرأْي وثاقبِ النّظرات، أمره بها مع أنّ الوحي يُسَدِّدُه، وحثَّه عليها وروح القدس يرشده، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فتوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتوَكِّلِينَ﴾[١]، فقد جاء الأمر بالشورى في هذه الآية عَقِبَ الامتنان من الله على عباده بأنْ أَلاَنَ لهم قلب نبيّهم– صلّى الله عليه وسلم –، وتحذيرِه تعالى من مَغَبَّةِ الفظاظة وأثرِها في تفرُّقِهم، ليدلّ دلالة واضحة على أنّ الشورى تُذْهِبُ وغر الصدور، وتَجْمَعُ الناس على صالح الأمور، وبها يَجتَمِع شَتِيتُ الآراء، وتَذْهَب السخائمُ والشحناءُ، من خلال عرض المشكلات العامّة، والحوار وتبادل الرأي فيها، كما أنّ الشورى خير وسيلة للكشف عن الكفاءات، وأفضل طريقة للوقوف على حقيقة القدرات، وتحقيقِ الأفراد لِذواتهِم وما أُوتوا من مواهب وملكات، كي تستفيد الأمّة من طاقات أبنائها. إنّ الشورى خيرُ وسيلة لتربية الأمم، وغرس معاني الانتماء للوطن، وتعويدِ الأفراد على العطاء، وتحمُّل التبعات والمسؤوليات؛ إذ يتدرَّب المُستشار على المُساهمة في الإدارة، بالتجربة وجَودة الرأي والتفكير، إنّ ممارسة الشورى في جوانب الحياة يمثِّل للمجتمع مدرَسة يستطيع من خلالها تحقيقَ خُطَطٍ طمُوحة، لبناء حضارة إنسانيّة راسخة.

أهمّية البحث:

تكمن أهمّية هذه الدراسة في إبراز دور نظام الشورى في النهوض بالمجتمعات الإنسانية من خلال المقارنة بين نموذجين متقابلين: نموذج القيادة الرشيدة (بلقيس)، ونموذج الاستبداد (فرعون)، وإثراء الدراسات القرآنية والسياسية، وتقديم نموذج للحكم الراشد.

أهداف البحث:

تأصيل مفهوم الشورى قرآنيا، وتحليل النّماذج التطبيقية للشورى، وإبراز أثر الشورى في بناء المجتمعات الإنسانية، مع تقديم رؤية إصلاحية معاصرة.

١– سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي: ما دور نظام الشورى في تحقيق نهضة المجتمعات الإنسانية كما عرضه القرآن الكريم من خلال قصّتي فرعون وبلقيس.

أسئلة البحث:

- السؤال الأصلي: ما دور نظام الشورى في تحقيق نهضة المجتمعات الإنسانية أو انهيارها كما عرضه القرآن الكريم من خلال قصّتي فرعون وبلقيس؟.
- الأسئلة الفرعية:

١. ما مفهوم الشورى في القرآن الكريم؟.

٢. ما تاريخ الشورى، أهميتها وصورها في القرآن الكريم.

٣. هل للشورى آداب وفوائد في القرآن الكريم؟.

٤. هل هناك ضوابط للشورى في القرآن الكريم ؟.

٥. ما دور نظام الشورى في نهضة المجتمعات الإنسانية أو انهيارها؟.

الدراسات السابقة:

١. سعد، هبة عوف عبد الرحمن، الشورى في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية، مجلّة كلية البنات الأزهرية بطيبة، جامعة الأزهر، المجلد ٦، العدد ٥، ٢٠٢١م.

٢. معمر حبار، الشورى بين صدق بلقيس ومكر فرعون، مجلّة رابطة أدباء الشام، العدد ١٠٢٠، ٢٠٢٣م.

الدراسة الأولى: تدور حول قضيّة الشورى في ضوء القرآن الكريم، وتركّز على دور المرأة وحقّها في الشورى في الإسلام، وتناولت أهمّية مبدأ الشورى في القرآن الكريم، وكونها مبدأ من مبادئ الإسلام، وقاعدة من قواعده، وصفة مميّزة للمسلمين.

الدراسة الثانية: ركّز الباحث على المقارنة بين مبدأ الشورى القائم على الصدق والتواضع الذي مارسته بلقيس مِلكة سبأ، وبين الشورى المزيّفة القائمة على الاستبداد والمكر التي استخدمها فرعون؛ وهي مقارنة تعكس الفرق بين القيادة الحكيمة والقيادة الطاغية.

بينما ركّزنا في دراستنا على دور نظام الشورى في نهضة المجتمعات التي تمارس الشورى بصدق وتتخذها وسيلة لتدبير أمورها حيث سارت على دعائمِها، فزادت قوّةً ونماءً ورخاءً،، وانهيار مجتمعات تمهل الشورى فأدّى ذلك إلى ذَهَابِ حضارتها، والدروس المستفادة من القصتين.

منهج البحث:

لقد سللك الباحثان في هذا البحث المنهج التّحليلي الاستنباطي من خلال جمع المادة العلمية من القرآن الكريم، والوقوف على أقوال المفسّرين، ومن ثمّ تحليلها تحليلا علميا وفق فهم سلف الصالح، مع توظيف المنهج المقارن، للكشف عن الفروق الجوهرية بين الشورى الحقيقية والشكلية. وتمّ توثيق المصادر والمراجع على منهج قريب من مدرسة شيكاغو؛ بذكر المعلومات الكاملة في أول الورود، ثم الاكتفاء باللقب وتاريخ النشر، مع بيان المجلد والصفحة.

خطّة البحث:

تتألّف هذه المقالة من مقدّمة وخمسة مباحث وخاتمة:

تشمل المقدمة على أهمية الدراسة وأهداف الدراسة ومشكلة الدراسة وأسئلة الدراسة ومنهج الدراسة والدراسات السابقة وخطة البحث.

- المبحث الأول: مفهوم الشورى في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: تاريخ الشورى، أهميتها وصورها في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: آداب الشورى و فوائدها في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع: ضوابط الشورى ومع من يتشاور في القرآن الكريم.
- المبحث الخامس: دور نظام الشورى في نهضة المجتمعات أو انهيارها في القرآن الكريم.
- الخاتمة: وخُتِمت المقالة بذكر أبرز النّتائج والتّوصيات العلمية.

المبحث الأول: مفهوم الشورى في القرآن الكريم:

بالبحث في معاجم اللّغة يتبيّن أنّ من معاني الشورى: الاستخراج، فيقال: شار العسل أي استخرجه واجتناه من موضعه، ومن ذلك أيضا: اختبار الشيء وفحصه ومعرفة كُنهه، فيقال: شار الدابة يشورها شورا: بلاها ينظر ما عندها، وقيل: قلّبها، وكذلك الأَمَة، والتشوير أنّ تشور الدابة تنظر كيف سيرتها، وكذلك من معناها: الأمر بالشيء، فيقال: أشار عليه كذا: أمره به، وهي الشورى والمشُورة بضم الشين، تقول: شاورته في الأمر واستشرته بمعنى، وشاوره واستشاره طلب المشورة، وأشار عليه بالرأي: أومأ إليه، ونبّهه أو دلّه عليه.[١]

١– ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاري الإفريقي المصري، ١٤١٤هـ، لسان العرب، باب مادة (شين–واو–راء)، بيروت: دار صادر،

٤: ٤٣٦. والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ١٤٢٧هـ، الجامع لأحكام القرآن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٤: ١٢.

ولم يبعد المعنى الاصلاحي عن المعنى اللغوي حيث يرى أهل الاختصاص أنّ الشورى هي عملية يحدث فيها استخراج الآراء المتعدّدة في الأمر المعروض ممّن يحسنون ذلك، وتقبيلها وفحصها والموازنة بينها واختبارها لاختيار أنفعها وأصلحها والدلالة عليها.....وحاصل معنى شاورته عرضت عليه أمري حتى يدلّني على الصواب[١].

وينظر بعض أهل العلم إلى الشورى على أنّها اسم فتكون بمعنى الأمر الذي يُتشاور فيه، قال الراغب الأصفهاني[٢]: "والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه، والشورى: الأمر الذي يتشاور فيه".[٣]

وينظر إليها فريق آخر من أهل العلم على أنّها مصدر، فتكون بمعنى التشاور في الأمر، وهذا هو القول المشهور[٤]، مثالها كلمتا: البشرى والذكرى[٥]، فتكون بمعنى عملية التشاور نفسها.

وقد وردت كلمة (يأتمرون) بمعنى يتشاورون في قوله تعالى:ٱ﴿إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ﴾[٦]، حينما تشاور الملأ من قوم فرعون في قتل موسى عليه السلام فيما جاء على لسان المؤمن من آل فرعون، حين قال لموسى أنّهم يتشاورون ليقتلوك، قال البيضاوي[٧]: "يتشاورون بسببك، وإنّما سمّي التشاور ائتمارا لأنّ كلاّ من المستشارين يأمر الآخر ويأتمر"[٨].

١– العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٤: ٢٦٩.

٢– الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني الراغب، وقيل: الحسين بن مفضل بن محمد، له مفرادات "ألفاظ القرآن" و"أفانين البلاغة"، توفي في حدود سنة ٤٢٥هـ، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤٠٤هـ–١٩٨٣م، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٨: ١٢٠.

٣– الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب، ١٩٧١م، معجم مفردات ألفاظ القرآن، صححه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١: ٧٩٩.

٤– الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، روح المعاني في تقسير القرآن العظيم والسبع المثاني، صححه: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٥: ٤٩.

٥– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦: ٣٤.

٦– سورة القصص، جزء من الآية: ٢٠.

٧– هو الإمام القاضي أبو الفتح، عبد الله بن محمد بمن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي، ثم البغدادي، الحنفي، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، سمع أبا جعفر بن المسلمة، وأبا الغنائم بن المأمون، وأبا محمد الصريفيني، وطائفة، توفي في نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠: ١٨٢.

٨– البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، ١٤١٨هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١: ٢٨٧.

وقد أعطى الإسلام الأمّة بمجموعها من الصلاحيات أكثر ممّا أعطى الإمام أو الرئيس فجعلها مصدر سلطان الحكّام باعتبارهم نوّابا، وألزم الله الحكام بالرجوع إلى الأمّة واستشارتها في كل أمور الحكم والتزام ما يراه ممثلوها: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[١]، لأن ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]، وللأمّة ممّثلة في نوّابها أن تراقبهم في كل أعمالهم، وأن تردّهم إلى الصواب كلمّا أخطؤا، وتقوّمهم كلمّا اعوجّوا، هذه هي سلطة الأمّة جمعاء تراقب الحكّام وتقوّمهم، وينوب عنها في القيام بهذه السلطة سمّهم إن شئت: أهل الشورى أو أهل الحلّ والعقد، أو أي اسم اتفقت عليه الأمّة فلا مشاحة ما داموا يؤدّون الأمانة التي نيطت بأعناقهم ويدركون حقّ الله عليها.

يلاحظ أنّ الفقهاء استخدموا المصطلحات السابقة بشكل غير محدّد؛ إذ كان يتمّ استخدام أحدها للتعبير عن الآخر، وهذا مردّه في الواقع لبساطة المؤسّسات في بدايتها، وكان الفقهاء في غاية المرونة عند تحديد أهل الشورى وذلك لاختلاف المجال الذي يراد الاستشارة فيه، فأمور الدين يستشار فيها العلماء، وأمور الخطط يستشار فيها قواد الجيوش، قال القرطبي رحمه الله : "واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدّين، ووجوه الجيش فيما يتعلّق بالحرب، ووجوه النّاس فيما يتعلّق بالمصالح (أي مصالح النّاس)، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلّق بمصالح البلاد وعمارتها"[٣].

وينبغي أن تتوفّر في كل هؤلاء صفات تؤهّلهم لذلك، منها: العلم أو الخبرة فيما يُستشارون فيه، والأمانة وتقدير المسؤولية التي تحجز عن التقاعس من الانتصاب لهذا الأمر، أو الإقدام بغير عِلم أو خبرة، مع العقل الراجح والشجاعة في إبداء الرأي ولو خالف به الأكثرين، ويشاور الموافقين والمخالفين ويسألهم عن حجّتهم ليبيّن له الحقّ.

المبحث الثاني: تاريخ الشورى، أهمّيتها وصورها في القرآن الكريم:

خلق الله عزّ وجل الإنسان كائنا اجتماعيا يألف ويؤلف، ويتعايش مع من حوله ويتعاون مع محيطه لإنجاز المصالح المشتركة؛ إذ لا يستغني أحد عن النّاس والمجتمع الذي يعيش فيه مهما بلغت قدراته وكفاءته، ولذلك نجد المجتمعات البشرية مفطورة على التعاون لجلب الخير والتناصر لدفع الشرّ، وقد كانت الشورى من الأمور المشتركة التي مارستها كثير من الأمم على نحو ما، فهي من التراث الإنساني المشترك، وما تميّزت به الشريعة الإسلامية في ذلك كان في الضوابط التي وضعت للقيام بعملية الشورى وتنفيذها لتُحقّق الغرض الذي من لأجله شُرعت على وجه صحيح.

وقد سجّل لنا القرآن الكريم بعض النّماذج التي ظهر فيها أقوام يمارسون الشورى في حياتهم العامّة مع توصيف جيّد لأحوال هذه الممارسة ممّا يعطينا صورة مثالية عمّا كان يمارسه أسلافنا من البشر، الشيء الذي يتيح لنا فرصة للتأسّي بالممارسات الحسنة وأخذ العبرة من الممارسات الخاطئة، ففي قصة ملكة سبأ عندما أرسل إليها نبي الله سليمان عليه السلام يدعوها وقومها إلى الإسلام

١– سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٥٩.

٢– سورة الشورى، جزء من الآية: ٣٨.

٣– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤: ٢٤٠.

والدخول في دين الله تعالى ذكر الله سبحانه وتعالى موقفها عند قراءة الخطاب: ﴿قَالَتْ يَا أَيهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[١]، والملأ: هم أشراف الناس ورءساؤهم ومقدّموهم الذين يُرجع إلى قولهم[٢]. فشاورتهم في أمر هذا الخطاب واستنصحتهم في أمر من أمور السياسة الخارجية وعلاقة الدولة بدولة أخرى... ولكنّهم عادوا إليها وفوّضوا لها التصرف وتركوا ما كان ينبغي عليهم من الإشارة بما يرون فائدته، فقالوا لها:آ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[٣].

وهنا نجد أحد الفروق الهامّة بين الشورى في الإسلام وبين الشورى في النظم الجاهلية، حيث يتنازل المستشارون عن القيام بدورهم لصالح التفويض المطلق للحاكم، بعكس الشورى في الإسلام، حيث يبذل المستشار جهده في الدّلالة على ما يرى صوابه من الخير والصلاح، أو التحذير من الشرّ والفساد، انطلاقا من كونه مأمونا على ذلك كما ورد في الحديث: «المستشار مؤتمن»[٤]، فلا ينبغي له أن يدلّ على غير ما يرى، أو يتقاعس ويبخل بما عنده من النّصيحة والإرشاد.

وكذلك فرعون الطاغية شاور الملأ من قومه في أمر موسى عليه السلام، فقد أثبت القرآن الكريم المحاورة التي جرت في ذلك بين فرعون والملأ من قومه؛ فقد قال الملأ من قوم فرعون لفرعون عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ﴾[٥]، عند ذلك قال فرعون للملأ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٦]، أي بأيّ شيء تشيرون في أمر موسى، ما رأيكم فيه، وما مشورتكم في مثله؟ فأظهر لهم الميل إلى ما يقولونه تألّفا لهم واستجلابا لمودّتهم، لأنّه قد أشرف على أنّ ما كان فيه من دعوى الربوبية إلى زوال، وقارب ما كان يَغرُر به عليهم الاضمحلال، وإلا فهو أعظم كبرا من أن يخاطبهم مثل هذه المخاطبة المشعرة بأنّه فرد من أفرادهم، وواحد منهم مع كونه قبل هذا الوقت يدّعي أنّه إلههم، ويذعنون له بذلك، ويصدّقونه في دعواه[٧].

والملاحظ هنا أنّ طلب المشورة إنّما جاء في الوقت العصيب الشديد الذي يفقد فيه القائد قدرته على التفكير بحيث يكون لجوؤه للشورى في ذلك الموضع من قَبيل الضرورة لا من قَبيل المنهج المتّبع، وهو ما يفرّق بين الشورى من المنظور الإسلامي ومنظور

١– سورة النمل، الآية: ٣٢.

٢– ابن الأثير، مجد الدين المبارك الجزري، ١٣٨٣هـ–١٩٦٣م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الراوي، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، ٤: ٣٥١.

٣– سورة النمل، جزء من الآية: ٣٣.

٤– ابن جنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي، المسند، ، حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو، رقم الحديث: ٢٢٣٦٠، ٣٧: ٤٣. والترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، سنن الترمذي، رقم الحديث: ٢٨٢٣، ٤: ٥١٢. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث أم سلمة، وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عمر. المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، ٢٠٠١م، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، القاهرة: دار الحديث، ٨: ٩٢.

٥– سورة الشعراء، الآية: ٣٤–٣٥.

٦– سورة الشعراء، جزء من الآية: ٣٥.

٧– الشوكاني، محمد بن علي بن اليمني، ١٤١٤هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار ابن كثير، ٤: ١٤٢.

الطواغيت والمستبدين، فعندما يسقط الأمر في يد الطاغية، وعندما يفقد القدرة على التصرف فإنّه عندئذ يلجأ إلى الشورى، وهذه الشورى التي طلبها فرعون تعدّ من قَبيل الشورى في المسائل السّياسة الداخلية.

وهناك نموذج ثالث ذكر لنا القرآن الكريم، وهو ما كان من ملك مصر زمن يوسف عليه السلام حينما رأى رؤيا أفزعته، فقال للملأ من قومه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[١]، فأجابوه بقولهم: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[٢]، فقد استشارهم فيما رأى ليدّلوه إن كان عندهم علم، لكنّهم تكلّموا ورجموا بغير علم...وهذا أيضا بعكس الشورى في الإسلام حيث لا يشير المستشار إلا بعلم، ولا يرجم بالظن؛ لأنّ المسلم منهي عن القول بغير علم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٣]، فإن كان لديه علم أشار به، وإن لم يكن عنده في الأمر المعروض عليه علم قال: لا أعلم، أو يردّ العلم لله فيقول: الله أعلم، وهذه الشورى التي طلبها ملك مصر لا تتعلّق بجانب سياسي؛ بل جانب شخصي.

والملاحظ هنا في جميع النّماذج على اختلاف مجالاتها أنّها لم تكن إلا مع الملأ الذين هم أشراف القوم، فكأن هذا هو المؤهّل الوحيد الذي يُؤهّلهم لذلك، بعكس الشورى في الإسلام فإنّ أصحابها من لهم مؤهّلات تُؤهّلهم لذلك غير كونهم من الملأ.

بعد هذا العرض الموجز يمكننا أن نلخّص ما تميّزت به الشورى في الأمم غير المسلمة التي سبقت رسالة محمّد صلّى الله عليه وسلم خير البشرية، فمن ذلك:

١. قصر الشورى على الكبرياء والرؤساء.
٢. تفويض أهل الشورى للملك أو الرئيس أو الأمير في اتخاذ القرارات وعدم المشاركة فيها؛ بحيث يكونون مجرّد آلات للتنفيذ.
٣. الإشارة بغير علم أو بجهل، رجما بالغيب، وهو ما يعني عدم تقدير المسؤولية.
٤. أنّ طلب الشورى لا يكون إلا عندما يسقط في يد القيادة، وأمّا في غير ذلك فالاستبداد هو القاعدة[٤].

إنّ المسلمين اليوم في أمسّ الحاجة إلى من يعيدهم إلى العمل بروح الأمّة ويجدّد لهم قِيَم الولاء للفكرة الإسلامية، والبعد عن العصبيات والأطر الحزبية التي هي في حقيقة أمرها مقابر تُدفن فيها أشلاّء الأمّة الإسلامية بعد أن قتلتها الفرقة، ولكي يتحقّق هذا الهدف الأكبر، ويصل العمل الإسلامي المعاصر إلى ذلك المستوى السامق، لا بُدّ للتربية الإسلامية من تنمية الصفات التي تحقّق التفاعل

١– سورة يوسف، الآية: ٤٣.

٢ – سورة يوسف، الآية: ٤٤.

٣– سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٤– الشريف، محمد بن شاكر، حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء، عثرت على هذه المقالة في الإنترنت بموقع: صيد الفوائد، مقالات في الشريعة، السياسة الشرعية، كتب وبحوث قضايا عامة، ص: ٤–٧.

بين أفراد الأمّة مثل: صفات الأخوة، والشورى، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر، والعطاء المتبادل، والقدرة على تكوين تجمّعات حضارية يكون الولاء فيها للأمّة الإسلامية، قبل أن يكون للتجمّع أو الحزب، ولا شكّ أن تنمية هذه الصفات تحتاج إلى برامج تربوية تركّز على الائتلاف والعمل الجماعي، وتنهي العزلة عن المجتمع، وتربّي الأفراد على أساس من الحرّية ضمن النّظام، والمبادرة مع:

أ– الانضباط والتنفيذ وليس الجدل.

ب– وتفجير الطاقات وليس تبرير العجز.

ت– وروح الفريق وليس روح القطيع.

ولكي يحقق العمل الإسلامي المعاصر ذلك التوازن بين الروح الجماعية وبين الروح الفردية، لا بُدّ من توفير المناخ الذي يساعد على تنمية شخصية الأفراد مع اختيار أساليب العمل التي تتيح قدرا من السلطة، وتشجع المبادرات الذّاتية، مع الحرص في ذات الوقت على ترسيخ مبدأ الشورى بين العاملين للإسلام وتبادل الآراء فيما بينهم حول الأمور التي فيها صلاح حال الأمّة.

ولا شك أنّ هذا يستلزم أن يتحوّل العمل الإسلامي من أسلوب المركزية في اتخاذ القرار وتطبيقه ومراقبة تنفيذه إلى أسلوب المشاركة التي يتّسع نطاقها، رغم المخاطرة بالوقوع في الخطأ؛ ذلك أنّ هذه الأسلوب في العمل هو الطريق إلى تنمية الطاقات، وتحرير الأفراد من التوقع داخل أفكار وتصورات القادة، إلى الشعور بحرية التحرك والعمل، ممّا يزيد من حماستهم للعمل والعطاء لإحساس كل منهم أنّ له وظيفة مستقلة تتناسب مع كفاءاته وقدراته.

- **صُوَر الشورى المتعدّدة:**

لقد اتَّخذت الشورى في الإسلام صوراً متعدِّدة بحسب الظروف المُواكِبَةِ زمانًا ومكانًا، واختصاصًا وإمكانًا، ولم يُلتزَم فيها بصورة واحدة أو طريقة معيّنة، ولكنّها مع ذلك اتَّفقت في تحقيق الغرض، ففي غزوة بدر أخذ الرسول صلّى الله عليه وسلم برأي أحد أصحابِه في الموقع الذي ينبغي أن ينزل فيه، واستشار بعضَ الصحابة في شأْن الأسرى، وهكذا نجد تنظيم الشورى في كل حادثة بما يتناسب مع ظَرفِها دون أن يُفْقِدَها روحَها والمَقْصدَ منها، وهو الوصول إلى ما يصلِح البلاد والعباد، ومن هنا ندرك ضرورة تنظيم هذه العملية الجليلة، دِعايةً وترشِيحاً، وتَرَشُّحاً وانتخاباً، كما أن الالتزام بالنظم واللوائح والأسس والقوانين التي تنظِّم العملية الانتخابية وترتقي بها إلى المستوى المنشود هو من لُبِّ الأمانة التي ينبغي على المُترشِّح أن يكون المَثَل الأعلى في الاقتداء بها وأداء حقِّها. هذا، وإن من أدب الشورى: أن يتقدَّم لتمثيل الجماعة مَنْ يجدُ في نفسه الكفاءة على أساس من العلم والمعرفة، والفكر والخبرة، نزِيهاً مُتجرِّداً من الميزات التي لا تخدم الشورى ولا تصل بها إلى أهدافها، من إغراءاتٍ مادية أو وُعُودٍ بَرَّاقةٍ، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، إن المترشّح الجدير هو من ظهر للمجتمع عطاؤُه وإنجازاتُه، وتبيَّنت للناس كفاءته وخبراته، فقد حكى الله عزّ وجلَّ عن نبيّه يوسف– عليه الصلاة

١– سورة الحجرات، الآية: ١٣.

والسلام –عندما رشَّح نفسه لتولّي المسؤولية عند عزيز مصر، فقال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١]، لقد رشَّح يوسف– عليه السلام –نفسه على أساس من العلم والأمانة، والخبرة والفطانة، ليحفظ الأموال، ويعدل في توزيعها، ويَرفقَ بالأمَّة في جمعها وإبلاغها لمحالّها، وإنّ النّاس في المجتمع المسلم لا يحتاجون لشيء في إبراز أفضليَّتهم وأحقّيَّتهم إلا على أساس من العلم والأمانة، كما أنّ المناصب والوظائف تكليفٌ ثقيلٌ لا يُغْرِي أحداً بالتزاحم عليه إلا ابتغاء الأجر بالنُّهوض بالواجب وخدمة المجتمع ابتغاء رضوان الله تعالى. لذلك يجب على المسلمين أن يختاروا من يرضون خُلُقه وأمانته، ومن يعلمون كفاءتَه ومعرفتَه، ومن أدركوا لمجتمعهم خيرَه ومنفعتَه، فهذه أمانة حُمِّلتم إياها، وأُتيح لكم الاختيار فيها بكلِّ حُرِّية، ولم يبق إلا قرارُكم في اختيار الأمثل والأعدل؛ فبهذا تتحقَّق المصلحة ويعمُّ النفع.

إنّ أمور المجتمع مختلفة؛ فمنها ما هو عامّ يشمل الرجال والنّساء، فالمشورة فيه تشمل الجنسين معاً، ولقد شاور رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلم أصحابه رجالا ونساء، فأول من استشاره الرسول صلّى الله عليه وسلم زوجُه السيِّدة خديجة رضي الله عنها، وذلك بعدما رجع من غار حراء، إذ أخبرَها خبر الوحي فطمأنَته حتى ذهب عنه الرّوع، وقالت له رضي الله عنها : «كلاَّ والله ما يخزيك الله أبداً، إنّك لتصل الرَّحم وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضَّيف وتُعين على نوائب الحقِّ"، ثمَّ انطلقت به خديجة حتى أتت به ابنَ عمِّها ورقة بنَ نوفل فازداد هدُوءاً وطُمَأْنينة بنصر الله له»[٢]، وبعد هذه الحادثة التي استشار فيها صلّى الله عليه وسلم امرأةً ورجلاً كان– صلى الله عليه وسلم –كثِيرَ المُشاورة لأصحابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «ما رأيت أحَدا أكثرَ مَشورةً لأصحابه من رسول الله صلّى الله عليه وسلم»[٣]، ثمَّ نَهَجَ أصحابُه رضي الله عنهم نهجَه صلّى الله عليه وسلم، وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه يكتب لعُمَّاله يأمرُهم بالتّشاور، هذا ومن الأمور ما هو خاصّ بالرّجال دون النِّساء فالمشورةُ فيه للرّجال دون النِّساء، ومنها ما هو خاص بالنّساء دون الرجال، فالمشورة فيه خاصةٌ بهنَّ، فمن ذلك ما جاء في الأثر عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حين سأل ابنته حفصةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقال: «يا بُنيّة، كم تصبرُ المرأة عن زوجها؟ فوقَّتَ للناس في مغازيهم على ما أجابتْه»[٤].

وقد سجَّل تاريخ المرأة في الإسلام صفحاتٍ من نور في مجال الشورى، وأثَرِ رأيِها على الأمّة، فهذه أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها، كانت امرأةً جليلةً ذاتَ رأيٍ وكمالِ عقلٍ، صحِبتْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم في رحلته إلى مكَّة المكرَّمة مُعتمِراً في العام السادس للهجرة، وهو العام الذي تمّ فيه صلحُ الحديبيّة، وقد أصاب الصَّحابة– رضي الله عنهم –من توقيع هذا الصلح هَمٌّ عظِيمٌ، ظنّاً منهم أنه يَبْخَسُ المسلمين حقَّهم، ولمّا أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أصحابَه وقال : «قُومُوا فَانحَروا واحلقُوا وحُلُّوا، لم

١– سورة يوسف، الآية: ٥٥.

٢– البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث رقم: ٣،٤، ١: ٧.

٣– الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: ١٧١٤، ٣: ٣٣٠.

٤– ابن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، السنن، رقم الحديث: ٢٤٦٣، ٢: ١٧٤.

يُجِبه أحدٌ إلى ذلك، فردَّدها ثلاثَ مرَّات فلم يفعلُوا، فدخل صلّى الله عليه وسلم على زوجته أمّ سلمةَ رضي الله عنها وهو شديدُ الغضب، فقالت :ما شأنُك يا رسول اللهِ؟ فقال صلّى الله عليه وسلم : هلك المسلمون! أمرتُهم فلم يمتثلُوا! فقالت : يا رسول اللهَ، لا تَلُمْهُم فقد دخلهم أمر عظيم ممّا أدخلْتَ على نفسك من المشقَّة في أمر الصّلح، ورُجُوعِهم بغير فتح، ثمّ أشارتْ عليه أن يخرُجَ ولا يُكلِّمَ منهم أحداً، وينحرَ بُدْنَهُ ويحلقَ رأسَه، فخرج صلى الله عليه وسلم فلم يُكلّم أحداً حتّى قام فنَحَرَ بُدْنَهُ، ودعا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فلمّا رأى الناس ذلك قاموا فنحرُوا، وجعل بعضهم يحلِقُ بعضاً وثَابَ المسلمون إلى رشدهم، بعد أن غلبتهم عواطفهم، وغابت عنهم في زحمة القلق والاضطراب عظمةُ هذا الفتحِ المبِين»[١]، وكان لأمّ المؤمنين أمّ سلمةَ رضي الله عنها –فضلُ ربَاطَةِ الجَأْشِ، فأشارت على النّبي– صلّى الله عليه وسلم بالرّأي السّديد الذي أنقَذَ المَوقِفَ وحَلَّ عُقْدَةَ القَوْم.

المبحث الثالث: آداب الشورى و فوائدها في القرآن الكريم:

- **آداب الشورى:**

إن من آداب الشورى في الأمور العامّة أن يراعِي المُستشار فيها تدبير شؤون النّاس، وتنظيم أمورهم، ورعاية مصالحهم، من خلال النّظر في آرائهم، والتَّدقيق في اقتراحاتهم، فينظر ما يصلُح للبلاد، ويعود بالرخاء على العباد، دون أن يكون رأْيُه ملزِماً، فصاحب الأمر أدرى بموارد البلد وإمكانياتها، ونفقاتها والتزاماتها، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢]، فإذا عزمت– بعد الشورى –على تنفيذ أمر، سواء كان على وفقِ بعضِ آراءِ أَهلِ الشورى، أم كان رأيا آخر لاح لك سداده، فبادر ولا تتأخّر وتوكّل على الله، ذلك لأنّ الشورى إنّما شُرعت لقصد استظهار أنفع الوسائل، لحصول الفعل المرغوب على أحسن وجه وأقربِه، والعملِ بما يتّضح منها، فقد يخرج من آراء أهل الشورى رأْيٌ، وفي المثل:" ما بين الرأيينِ رأي[٣]".

وعلى الرعية ألا تستعجل ثمرة آرائها، وتلبيةَ طلباتِها، فرُبَّ هناك من هو أشدّ حاجة من المستعجل، ولعلّ مشروعًا أهمُّ من غيره، فالمُستشار مؤتمَنٌ يطرح الفكرة التي يرى صوابَها، ويكِلُ تصريفَ الأمور إلى أربابها، واتّخاذَ القرارات إلى أصحابها، وتنفيذَ المشاريعِ إلى مؤسّساتِها، وهذا من أدبِيَّات الشورى في المجتمع المسلم القائم على مبادئ العدل والتسامح، والاحترام المتبادل ورعاية المصالح.

- **فوائد الشورى:**

للشورى فوائد عديدة تعود للأمة منها:

١– البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: ٢٧٣١، ١: ١٢٠٠.

٢– سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٥٩.

٣– ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٨٤م، التنحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، تونس: الدار التونسية للنشر، ٤: ١٥١.

١. انصهار الرعية والراعي في بوتقة واحدة، ولا يكون الجميع إلا جسدا واحدا همّه الوصول بالأمّة في المسائل المعروضة إلى برّ الأمان، وتحقيق أعلى المصالح، ففي الشورى يتمّ عرض الآراء ودراستها ممّن يحسنون ذلك في الأمور المشكلة، واختبارها لمعرفة كنهها، واستخراج أفضلها وأنفعها وأيسرها وأقلها مؤونة، فيستشير الراعي أهل العلم والفقه والخبرة من رعيته، وتبذل الرعية المشتشارة غابة جهدها في معاونة الراعي واستخراج أفضل ما تراه، والراعي ينظر في تلك الأقوال لا يغلب رأيا على رأي إلا لرجحانه عنده من جهة الشرع والمصلحة، والرعية تقبل ذلك منه لعلمها بنصحه لهم وإرادة الخير للمسلمين.

٢. الشورى تلغي فكرة الاستئثار بالصواب، وادّعاء القدرة على التفكير المنتج، ورهن ذلك بالحاكم وأعوانه فقط.

٣. الشورى ترسخ فكرة اشتراك الأمّة مع الحاكم في تحمل مسؤولية البحث عن الصواب، أو الأفضل، والعمل به.

٤. الشورى توجد تلاحما حقيقيا بين الأمّة والحكومة، بحيث يشعر النّاس أنّهم أصحاب دار ليسوا ضيوفا أو أُجراء.

٥. الشورى توجد اطمئنانا لدى الشعوب بصواب العمل، وأنّهم لا يقدرون من خلال نزعات فردية، ممّا يسهم بدرجة كبيرة في قناعة النّاس بما يصدر من تنظيمات أو ترتيبات، وهذا يسهم بدوره في الالتزام بها، والعمل على إنجاحها.

٦. الشورى تمثّل دافعا من دوافع العمل والإنتاج، حيث يشعر الإنسان بالانتماء إلى مجتمع كبير يقدّره ويعترف بمكانته.

٧. الشورى تقود إلى المشاركة في تدبير الشأن العام وتحمل المسؤولية في ذلك وتقضي على السلبية التي تعاني منها المجتمعات.

٨. الشورى تعمل على إنضاج الرأي العام، وتسهم بدور كبير في تكوين الرأي العام الرشيد[١].

قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٢]، والاستشارة: من عوامل تجنّب الفردية القادحة في الحكمة، ولو استغنى عنها صاحب عقل لكان أغنى النّاس عنها من كان يأتيه الوحي من السماء، مع ذلك يأمره ربه عزّ وجلّ بمشاورة أصحابه؛ لأنّ الشورى هي مقتضى الحكمة، وقد أوجب الله المشورة بين الوالدين في قضية فطام الولد، وهي قضية تتطلب الحكمة لئلا يتضرر الولد بالفطام، فقال جلّ ثناؤه: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[٣]، ما بالكم بالقضايا المهمّة التي تعني الأمّة في مجموعها؟... وربّما لهذه الحكمة ذهب أكثر الفقهاء إلى أنّ الشورى واجبة؛ لأنّها الطريقة التي شرعها الله تعالى لصنع واتخاذ القرارات في كل المستويات، ولها مراحل ثلاث هي:

أ– مرحلة صنع القرار من خلال المصفوة (أهل الحل والعقد).

ب– مرحلة اتخاذ القرار من المسؤول، أي (العزم).

ت– مرحلة التنفيذ بعد استنفاد الجهود، والأخذ بالأسباب، مع التوكّل على الله.

١– الشريف، حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء، ص: ١٠.

٢– سورة الشورى، جزء من الآية: ٣٨.

٣– سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٣٣.

المبحث الرابع: ضوابط الشورى ومع من يتشاور في القرآن الكريم:

وردت الشورى في القرآن الكريم باعتبارها مبدأً من مبادئ إدارة شؤون النّاس، سواء في الأسرة أو المجتمع أو الدولة، ومن خلال الآيات القرآنية يمكن استخلاص ضوابط الشورى والجهات أو الأشخاص الذين يُستشارون.

أولًا :ضوابط الشورى في القرآن الكريم:

١. أن تكون في الأمور المباحة والاجتهادية. الشورى تكون فيما لم يرد فيه نصٌّ قاطع من الله تعالى، أمّا ما حسمه الشرع فلا مجال لمخالفته. قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١].

٢. أن تقوم على طلب الحقّ والمصلحة. الغرض من الشورى الوصول إلى الأصلح، لا الانتصار للرأي أو الهوى. قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٢].

٣. الحرية في إبداء الرأي. من لوازم الشورى السماح بإظهار الرأي دون خوف أو إكراه، وقد كان النبي ﷺ يسمع آراء الصحابة ويقبل منها. قال تعالى مخاطبًا النّبيﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٣].

٤. الرفق وحسن الخلق أثناء التشاور. لأنّ القسوة تمنع النّاس من إبداء آرائهم. في نفس الآية قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤].

٥. العزم بعد انتهاء الشورى. بعد تبادل الآراء واتخاذ القرار يجب الحسم وعدم التردّد. قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٥].

٦. أن تكون الشورى صفة عامة للمؤمنين. جعلها القرآن من صفات المجتمع المؤمن. قال تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٦].

ثانيًا: مع من تكون الشورى؟

١. أهل العلم والخبرة. القرآن يرشد إلى الرجوع لأهل المعرفة في كلّ مجال. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تعْلَمُونَ﴾[٧]، فيدخل في ذلك العلماء، وأهل الاختصاص، وأصحاب الخبرة.

١– سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٦.

٢– سورة الزمر، جزء من الآية: ١٧–١٨.

٣– سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٥٩.

٤– سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٥٩.

٥– سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٥٩.

٦– سورة الشورى، جزء من الآية: ٣٨.

٧– سورة النحل، جزء من الآية: ٤٣.

٢. أهل الإيمان والصلاح. لأنّهم أقرب إلى الأمانة وطلب الحقّ. قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[١].

٣. أصحاب العلاقة بالأمر. مثل الشورى داخل الأسرة. قال تعالى في شأن الرضاعة والفطام: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[٢]، فدلّ على أهمّية مشاركة الأطراف المعنية بالقرار.

ومن هنا فإنّ الشورى في القرآن تقوم على طلب الحقّ والمصلحة، والرجوع لأهل العلم والخبرة، واحترام الآراء، والحسم بعد التشاور، والالتزام بأحكام الشرع، وهي خُلُق جماعي وصفة من صفات المؤمنين، وليست مجرّد إجراء شكلي.

المبحث الخامس: دور نظام الشورى في نهضة المجتمعات أو انهيارها في القرآن الكريم:

لقد حكى لنا القرآن الكريم نموذجين لسلوك المجتمعات، وحالَين لما آلَتْ إليه الحضارات، يتّضح من خلالهما الفرق جلياً بين مجتمعٍ يُمارس الشورى وآخر يُهملها، فهذا فرعون الذي ملك كثيراً، وجرى المال بين يديه وفيراً، حكى الله عنه الافتخار بمُلكِه فقال: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٣]، فأرسل الله موسى وهارون– عليهما السّلام –لهداية فرعون وقومِه، فأبتْ نفسُه أن يرى رأياً غيرَ رأيِه، أو يسمعَ مشورةً من غيرِه، فجاءه أحدُ المُخلِصين من قومه يَعرِضُ عليه من الرّأي السّديد، ويدلُّه على الطّريق الرّشيد، ولكنّ فرعونَ أبَى وتكبّر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٤]، فكان إهمال الشورى من أهمّ أسباب ذَهَابِ تلك الحضارة، ولذلك قال سبحانه في شأنهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[٥].

وعلى النّقِيض من هذه الصّورة الكَالِحَةِ من صور الحضارات التي أهملت الشورى في مسيرتها، يذكرُ لنا القرآن الكريم نموذجاً لحضارة قامت على أساس الشّورى، وسارت على دعائمِها، فزادت قوّةً ونماءً ورخاءً، إنّها حضارة سبأ، تحكمُها امرأةٌ جرت الحكمة على لسانها، وتأصّل السّدادُ في رأيها، إذ جاءتها رسالة نبيّ الله سليمان– عليه السّلام –يدعوها وقومها بدعوة الإسلام، فعرَضتِ الأمر على قومها، وطلبت منهم المشورة في أمرها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ

١– سورة الشورى، جزء من الآية : ٣٨.

٢– سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٣٣.

٣– سورة الزخرف، الآية: ٥١.

٤– سورة غافر، الآية: ٢٨–٢٩.

٥– سورة القصص، الآية: ٨.

وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[١]، إنّها الحكمة في بناء المجتمعات، والشّورى في تأسيس الحضارات، أثمرت لهذه المرأة عزّاً في الدّنيا ببقاء مُلكها، وشرفاً في الآخرة بالإيمان بالله ربّها، قال تعالى:ٱ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[٢]

إذا كان القرآن الكريم قد قصّ علينا أحوال تلك الأُمم السّابقة مع الشّورى، وما آلَ إليه أمرُها عند اتّخاذها أو إهمالها، فإنّ القرآن قد رسم أيضاً منهج الشّورى للمؤمنين، إذ أتى بما يدعوهم إلى العمل بها، يقول الله تعالى واصفاً عبادَه المؤمنين، ومُثْنِياً على أوليائه المتّقين:ٱ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣]، إنّه بيانٌ لأهميّة الشّورى بذكرها في بيان الاستجابة لأمر الله، مُتوسّطةً صفتَيْ إقامةِ الصّلاة والإنفاق، فالشّورى صفةُ مَنْ آمن بالله؛ فصفَّى الإيمانُ سريرتَه، وأقام الصّلاة فزَكَتْ سيرتُه، وأهمَّهُ أمرُ مُجتمعِه وأُمّتِه، مصداقاً لقول النّبي صلّى الله عليه وسلم: «من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم»[٤]، فمن كان في مُجتمعه من ذَوي الشّأن والاختصاص، سواء في الأمر العامّ أو الخاصّ، حُقَّ لَهُ أن يُستَشَارَ، ووجب عليه أن يبذل النّصحَ لِمُستَشِيرِهِ، وهذا أمرٌ عامٌّ في شأن كلِّ أفراد المجتمع رجالِهم ونسائِهم.

هذا، والشّورى ممّا جَبَلَ الله عليه الإنسانَ في فطرتِه السّليمة؛ إذ فَطَرَهُ سبحانه على محبّة الصّلاح وتطلُّبِ النّجاح في المَسَاعِي، ولذلك قرن الله تعالى خلقَ أصل الإنسان بالتّشاور في شأنه، إذ قال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٥]، والله غنِيٌّ عن إعانة المخلوقات في الرّأي، ولكنّه عَرَضَ على الملائكة مراده ليكون التّشاورُ سُنّةً في البشر ضرورة أنّه مقترِن بتكوينِه، فإنّ مقارنة الشّيء للشّيء في أصل التكوين يُوجِبُ إِلْفَ ذلك الشّيء والتّعارفَ عليه[٦].

الخاتمة:

هذا، وإلى هنا انتهى ما رمنا جمعه من نظام الشورى ودوره في النّهوض بالمجتمعات الإنسانية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية مقارنة في ضوء قصّتي فرعون وبلقيس. وقد توصلت الورقة إلى جملة من النتائج أبرزها:

١– سورة النمل، الآية: ٢٩–٣٣.

٢– سورة النمل، جزء من الآية: ٤٤.

٣– سورة الشورى، الآية: ٣٨.

٤– الطبراني، المعجم الأوسط، رقم الحديث: ٧٤٧٣، ٧: ٢٧٠. قال الألباني إن هذا الحديث ضعيف المبنى صحيح المعنى، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١: ٤٨.

٥– سورة البقرة، جزء من الآية: ٣٠.

٦– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ ص: ١٥٠.

١. الشورى في القرآن تقوم على طلب الحقّ والمصلحة، والرجوع لأهل العلم والخبرة، واحترام الآراء، والحسم بعد التشاور، والالتزام بأحكام الشرع، وهي خُلُق جماعي وصفة من صفات المؤمنين، وليست مجرّد إجراء شكلي.

٢. الشورى تمثّل أساسا للحكم الرشيد، وأنّ غيابها يؤدّي إلى الاستبداد والانهيار الحضاري، كما في نموذج فرعون، بينما يسهم تطبيقها في تحقيق الاستقرار والهداية كما في نموذج بلقيس.

٣. الشورى تُذْهِبُ وغر الصدور، وتَجْمَعُ النّاس على صالح الأمور، وبها يَجتَمِع شَتِيتُ الآراء، وتَذْهَب السخائمُ والشحناءُ، وتلغي فكرة الاستئثار بالصواب، وادعاء القدرة على التفكير المنتج، ورهن ذلك بالحاكم وأعوانه فقط.

٤. الشورى خير وسيلة للكشف عن الكفاءات، وأفضل طريقة للوقوف على حقيقة القدرات، وتحقيقِ الأفراد لِذواتهِم وما أُوتوا من مواهب وملكات، كي تستفيد الأمّة من طاقات أبنائها.

٥. إنّ ممارسة الشورى في جوانب الحياة يمثِّل للمجتمع مدرَسة يستطيع من خلالها تحقيقَ خُطَطٍ طمُوحة، لبناء حضارة إنسانيّة راسخة.

التوصيات والاقتراحات:

نوصي أن يكون نظام الشورى هو المنهج المتّبع في سيادة الأمّة وسياستها، لِما في ذلك من بثّ وغرس حبّ الأمن والسلام بين أفراد المجتمع، ليعيش سليما معافىً، وأن يتقدَّم لتمثيل الجماعة مَنْ يجدُ في نفسه الكفاءة على أساس من العلم والمعرفة، والفكر والخبرة، وأنه لا ينبغي للمستشار أن يدلّ على غير ما يرى، أو يتقاعس ويبخل بما عنده من النصيحة والإرشاد.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، مجد الدين المبارك الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الراوي، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٢. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل...) الدار التونسية للنشر ١٩٩٨م.

٤. ابن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، السنن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند: الدرا السلفية، ١٩٨٢م.

٥. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٦. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، صححه: إبراهيم شمس الدين، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٧١م.

٧. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تقسير القرآن العظيم والسبع المثاني، صححه: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٨. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٩. البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

١٠. الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، وكمال الحوت، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

١١. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة–، ١٩٨٣م.

١٢. الشريف، محمد بن شاكر، حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء، عثرت على هذه المقالة في الإنترنت يموقع: صيد الفوائد، مقالات في الشريعة، السياسة الشرعية، كتب وبحوث قضايا عامة.

١٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دمشق–بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

١٤. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (٢٦٠–٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد–أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين ، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

١٥. العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي ودار الفكر.

١٦. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ.

١٧. المباركفوري، أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠١م.